مجلة الحكمة للدراسات التاريخية
Eissn :2600-6405 Issn : 2353-0472
المجلد 3/ العـدد: 04 (2015)، ص 7- 14

العلـوم العمليـة عند ابن سينا

الدكتور/ محمد شطوطي
جامعة الجزائر-2 بوزريعة - الجزائر

إن العلوم العملية عند الشيخ الرئيس ابن سينا؛ علوم كلها أفكار ومواقف ولا تستثني شيئا من حياة الإنسان، لكن تفتقر إلى التطبيق، والممارسة العملية، لتترجم تلك الأفكار، وتلك المواقف على أرض الواقع هذا هو حد العلوم العملية عند الشيخ الرئيس ابن سينا، وهما أساسيان في مجال العمل بهما وتحقيقا لغاياتهما..

هي علوم تدعو إلى التحقيق في الأفكار والآراء والمواقف على أرض الواقع العيني بعيدا عن الخيال، والتمني، وبعيدا عن العواطف السلبية المؤقتة..

هي علوم في طريق تحقيق الذات وفي طريق الحرية، والتحرر من الجهل والقيد اللامبرر بكل صوره قدر الطاقة البشرية.. هي إنسانية المنشأ، والغاية لا تطلب من الحياة إلا السلام، والأمان لذاتها في نشوتها وفي تحقيق ذاتها بالعلم والعمل..

وهي أيضا فلسفة لا تطلب من صاحبها إلا القليل من التضحية والجهد، والكثير من الصبر والثبات، وهي تحاول دائما أن تجعل الإنسان إنسانا في كل تصرفاته التي لا تخرج عن حدود الخالق الذي صوره في أحسن صورة، وملكه نعمة العقل..

والعالم يرى أن شقاء الإنسان سببه الكافي هو عدم استعمال العقل في كل شيء مع امتحانه، وتقييمه، وتقويمه هي صورة من يريد أن يدخل مجال الفلسفة العملية...

عندما نقرأ في مؤلفات الشيخ الرئيس ابن سينا نجد أنه اهتم اهتماما خاصا بعلمين من أهم العلوم ألا وهما الطب، والمنطق، هذا من خلال مؤلفاته التي تنوعت عنوانا، وتماسكت موضوعا ومن أهم هذه المؤلفات : القانون في الطب (3 مجلدات)، والشفاء، والإشارات والتنبيهات والنجاة، وعيون الحكمة... في المنطق.

لكن هناك موضوعات لم تكن في مؤلفات بعينها، وبعنوان يخصها، إنما كانت في رسائل جمع بعضها الدكتور عبد الأمير شمس الدين في كتابه: المذهب التربوي عند ابن سينا من خلال فلسفته العملية..

ولمناقشة هذا الموضوع في هذه المقالة رتبت العلوم التي اهتم بها الشيخ الرئيس والتي تنطوي تحت العلوم العملية، وهي كالآتي: الطب.. علم النفس.. المنطق.. الهندسة!. الأخلاق وأخيرا التربية العملية ولأبدأ بالطب.

1/- الطب:

إن الطب علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح، ويزول عن الصحة ليحفظ الصحة حاصلة، ويستردها زائلة هذا حده (ابن سينا، ب.ت :6) ، وقد قسم مراحل الإنسان إلى أربعة مراحل بناء على السن والجنس :

1-1/- سن النمو، ويسمى سن الحداثة وهو من الطفولة إلى نهاية سن الثلاثين من العمر، وفيه: الطفولة – الصبا – الترعرع – الغلامية – الفتى ..

1-2/- سن الوقوف هو سن الشباب، ويكون بين خمس وثلاثين سنة والأربعين [35-40] سنة.

1-3/- سن الإنحطاط، وهو سن الكهولة وهو إلى نحو ستين سنة [60] سنة.

1-4/- سن الشيخوخة، وهو يعد من الستين إلى آخر العمر.

وهذه المراحل ليست تخص جنسا واحدا بعينه، بل هي للجنسين: الذكر، والأنثى من البشر لا غير.

لقد كان الشيخ الرئيس يرى دائما أن الإعتدال هو في طريق أن يعيش الإنسان في سلام مع بدنه، ومع نفسه ومع الناس جميعا، وهي نصيحة كان يكررها على الدوام لمرضاه في مشفاه وخارجه، ومن المعالجات التي كانت سببا لشهرته نذكر بعضها، والتي ذكرها في كتابه القانون في الطب منها:

القطران:

وهو عصارة شجرة الشربين قوة دخانه كدخان الزفت، ويكون منه دهن.. لونه أسود قاتم ينفع في الجراح، والقروح يقوي اللحم، وينفع معالجة الجرب (ابن سينا؛ ب.ت : 419).

الشب:

ينفع لنزيف الدم من الأنف أو من أي جرح (المصدر السابق: 436) وكثيرا ما يستعمله الحلاق في وقف نزف الدم من الجرح أثناء حلاقة الذقن للزبون..

علاج وجع الرأس:

إذا أحببت أن تأمن من الشقيقة ووجع الرأس والصداع.. دهنت رأسك بزيت الزيتون، أو الحبة السوداء، أو ماء الورد.. فأبدأ بحاجبك، ثم الرأس واللحية.. فإنك تسلم من ذلك إن شاء الله (عبد الأمير شمس الدين، 1988 : 296) ولا تدع في جوفك شيئا يؤذيك.

الخل:

الخل نوعان: أحمر، وأبيض والأحمر هو الذي نحتاجه للعلاج، فهو ينفع في وقف نزف الدم في الفم، أو أي مكان من الجسم ويمنع الورم حيث يريد أن يحدث، ومع زيت الزيتون ينفع في السعال الحاد كما ينفع في مضمضة الفم عند الشعور بألم في اللثة أو في ضرس (ابن سينا، 1983 : 324)

علاج الحمى:

هناك نوعان من الحمى : حمة بسبب عدوى، أو تعفن، وهناك حمى بدون سبب يذكر كتاب العلم (Ibn Sina, 1955 : 59) ولكي نعالج الحمى يجب وضع لفة قماش أو كيس فيه ماء بارد على مواضع ثلاثة هي : الجبهة – والصرة – والرجلين.. وهي إسعافات أولية لا غير حتى يصل المصاب إلى الطبيب، أو يصل إليه الطبيب..

لقد تفوق الشيخ الرئيس ابن سينا في الطب؛ لأنه أحبه ومارسه في سن السادسة عشر من عمه، وسعادته كانت في البحوث، والتجارب، وهذا ساعده في مجال الطب من الناحية العملية في المشفى الذي كان يعالج فيه مرضاه، بالإضافة إلى مخبره الذي كان يجرب فيه كل ما يراه ضروريا في البحث، وهذا التعليق هو للآنسة غواشون من كتاب مقدمة للإشارات والتنبيهات.. (Ibn Sina, 1951 : 16).

ومنه أقول أن ابن سينا رحمه الله قد استفاد من مجال ليس سهلا على غيره في وقته، ولكن حبه للطب رفعه إلى مصاف العلماء، فكتابه في القانون لا يزال موضوع بحث، ودراسة في كل جامعات العالم، وهذا دليل على عظمة الرجل وغزارة علمه رحمه الله.

فالطب إذن مجال عملي بالدرجة الأولى عند الشيخ الرئيس ابن سينا وقد تقدم فيه تقدما لا شك في ذلك بإعتراف العلماء والخبراء في مجال الطب بدون استثناء.

2/- علم النفس:

إذا أردنا أن نعرف علم النفس تعريفا عاما قلنا : (هو الدراسة العلمية لسلوك الإنسان، وتوافقه مع البيئة (محمد شطوطي، 2002 : 17) من كتاب علم النفس وصلته بالتربية في بناء شخصية الطفل.

إن مجال علم النفس أوسع مما تحدده كلمات قد لا توفي بالغرض لأنه دخل في كل نشاط إنساني، وغير إنساني فهو يهتم بالإنسان، والحيوان بنفس الدرجة لأن الحيوانات كانت، ولا تزال موضوع بحث ودراسة لكثير من الحالات التي لها علاقة بالإنسان ككائن حي، ومن التسميات التي لها هذه العلاقة، والتي تبين هذا النشاط هي علم النفس الحيواني، علم الطفل، علم التربوي، علم المرضي...

فإذن علم النفس، علم مجاله الإنسان في المجتمع، وفي العمل، وفي الحرب، وفي المرض وهذا هو الذي يهمنا ههنا.. لقد قال ابن سينا (من عرف نفسه عرف ربه) (ابن سينا، 1952 : 48)، ولابد أن نشير هنا إلى شيء، وهو الفرق بين النفس، والروح، فالنفس نفوس، والروح ليس إلا روحا واحدة، وهي ليست موضوع دراسة، وإنما هي التسليم بها والإيمان بوجودها في قوله تعالى : " ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أتيتم من العلم إلا قليلا " (سورة الإسراء: 85)

والحقيقة أن ابن سينا هو أول فيلسوف مسلم اهتم بعلم النفس اهتماما عظيما لا نجده عند أحد من السابقين فقد أكثر من التأليف في أحوال النفس إلى درجة تدعو إلى الدهشة والإعجاب..

وعليه نقول أن علم النفس القديم يظهر في أوضح صورة وأكملها على يد الطبيب الفيلسوف ابن سينا، وقد استعان بآراء أرسطو خاصة من كتاب النفس إلا أنه قد استفاد أيضا من مصادر أخرى لم تكن في عهد أرسطو، وبخاصة الدراسات الطبية والتشريحية لعلماء القرون التالية لعصر أرسطو، ومن هذا نستطيع أن نفهم السبب في أن علم النفس السينوي يفوق في موضوعاته عن موضوعات علم النفس الأرسطي الذي جرت العادة بين مؤرخي الفلسفة الأوروبية على اعتبار خاطئ أن علم النفس كان مع أرسطو لا غير.

وفي الحقيقة أن علم النفس عند أرسطو لم يفرق بين الروح، وبين النفس في كتابه بعنوان (النفس) هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن ابن سينا ربط علم النفس بالعلاج، وقد نجح فعلا بما يسمى اليوم علم النفس الإكلينيكي وهناك أمثلة في هذا الموضوع: حالة أمير أصيب بإنهيار عصبي جعله يقول للذين يحيطون به (إذبحوني فأنا

بقرة) وعند استشارة الطبيب ابن سينا كان له على يده الشفاء ذلك أنه ربط الحالة النفسية بقوله اطعموه جيدا ليكون صالحا للذبح وطبعا صار يأكل بدل الصيام الذي طال مدة طويلة وكان ابن سينا قد طلب من أهل الأمير وضع الدواء المناسب لحالته.. وبعد أيام عاد الأمير إلى حالته الطبيعية وهناك قصص أخرى تحكي عن ابن سينا كيف كان يعالج مرضاه من الناحيتين النفسية والجسمية فهو لم يكن يهمل الناحية النفسية من المريض مهما كانت ألفاظه أو مواقفه التي تبدو على مريضه..

لقد كان علم النفس في بدايته الأولى فكرا نظريا وآراء متباينة مختلفة قوة وضعفا.. بعدد الفلاسفة وكان أقرب إلى الفلسفة من إلى العلم في عصور مضت لكن عوامل كثيرة جعلت هذه المعرفة تشق طريقها نحو الملاحظة التي فتحت بابا للمقارنة، والتحليل..

وقد أخذ هذا العلم يتقدم بفضل جهود العلماء في دراسة النفس وأحوالها، وصارت تقترب من جانبها العلمي إلى جانبها العملي.

لقد كان ابن سينا ينصح مرضاه بشيء واحد لا يتطلب جهدا، ولا مالا، ولا نصرة الغير إنه (الإعتدال) في كل شيء... والذي كان يراه أنه في صالح المعتدل مهما كان سنه، وجنسه.

3/- المنطق:

قيمة الشيء هي في فائدته والعمل بهذا الشيء هو نحو تحقيق شيء آخر، وهذا ينطبق على المنطق عند ابن سينا.

فالمنطق آلة تساعد على ضبط الأفكار والمفاهيم، وقد عرفه الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه النجاة تعريفا لا يفتقر إلى مزيد بالمعنى الفكري لهذا العلم (المنطق هو صناعة نظرية) (ابن سينا، أبو علي، 1938: 4) والذي يهمنا ههنا في هذه المقالة بالذات هو إظهار قيمة المنطق من الناحية العملية، وبعبارة أخرى جهة التطبيق السليم لمبادئ العقل ولها صور عديدة تظهر فيها هذه المبادئ في علوم عديدة أهمها الرياضيات والفلسفة...

لقد ذهب بعض الفلاسفة إلى موقف تربوي وفكري صورته أن دراسة الفلسفة تبدأ من المنطق أولا؛ ثم إلى موضوعات الفلسفة ثانيا، لأن المنطق كآلة يضبط وينسق الأفكار والآراء، ويرتبها الترتيب اللائق بها.. ضرورة ملحة بوجوده لدى الدارس في مجال الفلسفة..

وكثيرون هم الفلاسفة الذين حثوا على دراسة المنطق لأنه أداة كل دارس وخاصة الفلسفة، فالمنطق أداة عمل وهو علم ومنهج في ذات الوقت.. نقول علما لأنه تطور من منطق صوري إلى منطق رياضي، ولا يزال يعرف الجديد في موضوعاته مع الفلاسفة المناطقة والعلماء الذين يهمهم شأن المنطق كأداة في ضبط الأحكام والأفكار، والآراء والمناهج.

ونقول منهجا لأنه أداة الفيلسوف في تفكيره، وفي إصدار أحكامه، ولا يمكن أن لا يكون منهجا للفيلسوف بل ضرورة ملحة بوجوده على مائدة كل فيلسوف.

4/- الهندسة:

أما فيما يخص الهندسة، فإنها علم عملي بالأساس، لأنها تخضع للقياس وبدوام صدقها إذا كان الدارس يعرف كيف يتعامل مع نظرياتها، وقواعدها بل لولا الهندسة في حياتنا لما رأينا هذا النظام، وهذا الثبات في علاقة الأشياء في ما بينها... فالهندسة نقيض الفوضى في العالم المادي هذا حدها إذا أردنا الحقيقة.

5/- الأخلاق:

وهناك علم لا يقل أهمية في حياة الإنسان ألا وهو الأخلاق أو علم الأخلاق، وابن سينا في رسائله كلها التي موضوعها الأخلاق يلح على أن الأخلاق في طريق العمل بها وإلا لا قيمة لها في حياة الإنسان على الإطلاق.. فهي سلوك وفعل وعمل ولا يمكن أن لا تكون الأخلاق..

فالإنسان بلا أخلاق إنسان لا يمكن أن يتذوق الحياة الإجتماعية ولا يعرف الإستقرار فيها أبدا..

فالأخلاق ليس كلاما يقال، بل هي عمل ينجز أو بها ينجز..

6/- التربية العملية:

وفي آخر هذه العلوم هي التربية العملية.. فابن سينا كان يرى أن التربية العملية، سياسة والسياسة عمل صورته العلاقات بين الناس.. بدءا من اثنين..

قال الشيخ الرئيس ابن سينا في نص له عنوانه (سياسة الرجل نفسه يلخص فيه مجالا من مجالات التربية العملية قوله : (إن أول ما ينبغي أن يبدأ به الإنسان من أصناف السياسة (التربية هنا هي التربية المدنية أي الإجتماعية) سياسة نفسه إذ كانت نفسه أقرب الأشياء إليه، وأكرمها إليه، وأولاها بعنايته، ولأنه متى أحس بسياسة نفسه لم يعبأ بما فوقها من سياسة، وإن يعلم أن له عقلا هو السائس ونفسا أمارة بالسوء.

العلـوم العمليـة عند ابن سـينا

(عبد الأمير شمس الدين، 1988: 240) ومن قراءة النص نتبين أن ابن سينا يرى أن التربية سياسة، والسياسة منهج عملي لتطبيق مبادئ التربية العملية لا غير، تلك هي نظرة ابن سينا للتربية العملية.

وخلاصة القول أن الشيخ الرئيس ابن سينا قد توصل إلى تصنيف العلوم بالفعل وبالممارسة، بل وقد حث في كل رسائله المتعلقة بتلك العلوم أنها علوم عملية لا نظرية ومن جعلها غير ذلك يكون قد حرم نفسه من فيض منافعها على أرض الواقع.

المصادر الأساسية باللغة العربية :

1- القرآن الكريم.

2- ابن سينا، أحوال النفس، رسالة في النفس وبقائها، ومعادها، حققها وقدم لها الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، دار احياء الكتب العربية القاهرة، 1952.

3- ابن سينا، القانون في الطب، الجزء الأول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، [ب.ت].

4- ابن سينا، القانون في الطب، الطبعة الثالثة، شرح وترتيب، جبران جبور، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1983.

5- ابن سينا، النجاة، الطبعة الثانية، مطبعة السعادة، مصر، 1938.

المراجع الأساسية باللغة العربية:

1- عبد الأمير شمس الدين، المذهب التربوي عند ابن سينا، من خلال فلسفته العملية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، 1988.

2- محمد شطوطي، علم النفس وصلته بالتربية في بناء شخصيته الطفل، دار شرشار، الجزائر، 2002.

المراجع الأساسية باللغة الأجنبية:

1- André Lalande, Vocabulaire technique et critique de la philosophie 18 ème éditions, P.U.F, Paris, 1996.

2- Didier Julia, Dictionnaire de la philosophie, Librairie La rousse, Paris, 1964.

3- Ibn Sina, Le livre de science traduit par Mohamed Achena et Henri Massé, Société d'édition (les belles lettres), Paris, 1955.

4- Ibn Sina, Le livre des directives et remarques, Traductions, A.M. Goichon, Librairie philosophie I. Vrin, Paris, 1951.